

الاستيطان الفرنسي واستلاب الأراضي في الجزائر فيما بين 1919- 1939 وتأثيراته الاقتصادية والاجتماعية.

French settlement and land grabbing in Algeria between 1919- 1939 and it's economic and social effects.

العربي إسماعيل*

جامعة باجي مختار، عنابة - الجزائر

Ismailarbi2017@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/12/27 تاريخ القبول: 2024/11/14

● الملخص:

أحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، والتي تتعلق بسياسة الاستيطان في المنطقة، على اعتبار أن هذه السياسة قد مثلت حجر الزاوية في إحكام الفرنسيين لقبضتهم على البلاد، وهذا من منطلق أن العملية ستساهم في إعطاء الاحتلال مدلوله الواقعي وتطبيقه الفعلي، فالاستعمار الذي ينقصه الاستيطان هو استعمار صوري، وعليه فإن تمليك الأراضي الجزائرية للأوروبيين كان بمثابة غاية ووسيلة لسياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

كلمات مفتاحية:

الاستعمار - فرنسا - الاستيطان - الجزائر - الكولون.

Research Summary:

In this study, I try to shed light on aspects of the French colonial policy in Algeria, which is related to the settlement policy in the region, given that this policy has represented the cornerstone of the French tightening their grip on the country, and this is on the basis that the process will contribute to giving the occupation its realistic meaning and application. Actual, colonialism that lacks settlement is a fictitious colonialism, and therefore the appropriation of Algerian lands to Europeans was an end and a means for the French colonial policy in Algeria.

key words:

Colonialism - France - settlement - Algeria - Colon.

up your general subject) (Your abstract should be brief, coherent, reflecting and summing up your general subject) (Your abstract should be brief, coherent, reflecting and summing up your general subject) (Your

● مقدمة:

شكل- الاستعمار- في الجزائر إلى جانب تدفق الرساميل طريقا إلى فرض السيطرة في المجال الاقتصادي، ولعل هذه السيطرة قد اتضحت بشكل جلي في سياسة الاستيطان⁽¹⁾ الذي مثل مربط الفرس بالنسبة للاستعمار الفرنسي في المنطقة، نظرا لما تطلعه به السياسة الاستيطانية في ترسيخ وتثبيت أقدام الاستعمار.

وفي هذا الصدد فإن أول ما شغل إدارة الاستعمار الفرنسي هو العمل بكل وسيلة لتمليك الأراضي الزراعية للكلون، على اعتبار أن تلك العملية ستساهم في إعطاء الاحتلال مدلوله الواقعي وتطبيقه الفعلي وذلك من منطلق أن الاستعمار الذي ينقصه الاستيطان فإنه مجرد استعمار صوري وبالتالي فإن تمليك الأراضي الجزائرية للأوربيين كان بمثابة غاية ووسيلة لإدارة الاستعمار الفرنسي.⁽²⁾

1. قوانين التمليك محاولة في شَرَعَةِ الاستيطان:

إن الحديث عن السياسة الاستعمارية في المجال الاقتصادي هو حديث بالدرجة الأولى عن النشاط الزراعي، وهذا لعدة اعتبارات منها أن الزراعة قد مثلت القطاع الأكثر حيوية بالمقارنة مع باقي القطاعات الأخرى (= الصناعة والتجارة)، زيادة على أنها (= الزراعة) القطاع الذي نال حصة الأسد في الاقتصاد- الجزائري- طيلة عهد الاحتلال الفرنسي، وهذا بحكم توفر كل الشروط الضرورية، والتي ساهمت في- تطوره-.⁽³⁾

وفي سياق ذلك، وبالحديث عن النشاط الزراعي في الجزائر، لا يمكننا إغفال الحديث عن الأرض التي مثلت أساس هذا النشاط، وعليه، فقد عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ الوهلة الأولى من دخولها إلى الجزائر وعبر تاريخها- الطويل- في المنطقة على إحكام سيطرتها على تلك الأرض ومحاولة تمليكها، فقبل 1940م⁽⁴⁾ نسجل تعسفاً من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي في تملك الأراضي الزراعية.⁽⁵⁾

(1)- نفكر أساسا بصدد الاستيطان في عملية امتلاك الأراضي لا هجرة الأوربيين واستقرارهم في الجزائر، حيث عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على الظفر بأكبر عدد من قطع الأراضي، وفي إطار الاستيطان، فقد عملت في هذا الباب على التعدي على بعض الممتلكات التي تعتبر خطأ أحمر بالنسبة للجزائريين على غرار أراضي الأقباس والأوقاف، فعلى قاعدة العنف شرع الفرنسيون في تمزيق النسيج الاقتصادي القائم على الزراعة والممتلكات العقارية، وهو الهدف الذي دعا منظرو الاستعمار من أجل تحقيقه، وما نجده في هذا السياق أقوال البعض: "يجب منع العرب من بذر أراضيهم وجنيها والرعي فيها.."، للتدقيق والتعمق في الموضوع ينظر محمد مالكي- الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- ط2- 1994- ص ص 93- 94.

(2)- (Pierre GHALEB- protectorat religieux de la France en orient- lib-Aubanel frères- (sd)- p111.)

(3)- خثير عزيز- قضايا في تاريخ الحركة الوطنية- دار الخليل العلمية- الجلفة- (د ت ن)- ص 31.

(4)- جدير بالإشارة في مسألة القوانين التي سنتها الإدارة الاستعمارية من أجل سيطرتها على الأراضي في الجزائر، إلى قرار الكونت كلوزيل بتاريخ 08 سبتمبر 1830م، والقرار الصادر في 07 ديسمبر 1830م، القاضيان بضم أراضي البايك وأراضي الموظفين الأتراك، وهما أول القوانين التي سنتها إدارة الاحتلال الفرنسي، والتي كشفت بهما عن نيتهما مبكرا وتنكرت بذلك لمعاهدة 05 جويلية 1830م...، ينظر في هذا السياق عدة بن داهة- عدوانية التشريعات العقارية الفرنسية في الجزائر- الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية- ع 5، 6- جوان 2014- ص 188.

(5)- (Mohamed TAGUIA- l'Algérie en guerre- éd- OPU- Alger- (sd)- p112.)

هذا، وقد شكلت الأرض بالنسبة للجزائري عبر التاريخ مصدر الرزق الذي يعيل به من هم تحت كفالته، ولذلك فقد كانت العلاقة بين ذلك الجزائري والأرض وطيدة لارتباطه بها بدرجة كبيرة⁽¹⁾ واعتبارا من أن الأرض هي أساس النشاط الزراعي الذي يعتبر عماد-الاقتصادي الجزائري-⁽²⁾ فإن إدارة الاحتلال الفرنسي قد ركزت في سياسيتها الاقتصادية على الأرض ضمن إطار عملية الاستيطان.⁽³⁾ وعليه، شكلت أيديولوجية الاستيطان-La Colonisation⁽⁴⁾ وليس القصد هنا الاستيطان بمعنى الإسكان، بل السيطرة على ملكية الأرض- Propriétaire de terre مرتبط الفرس بالنسبة للسياسة الفرنسية التي هدفت من ورائها إلى أحكام القبضة على الاقتصاد الجزائري.⁽⁵⁾

وبالتالي، فعملية الاستيطان التي قامت بها فرنسا قد قسمت إلى قسمين، بداية مع الاستيطان الرسمي والذي امتد من 1830م إلى 1840م، حيث قامت الإدارة الاستعمارية بتشجيع الهجرة الأوربية ومنح الامتيازات وخاصة فيما يتعلق الأمر بمنح الأراضي⁽⁶⁾، ولم تكنف السلطات الاستعمارية بمنح الأرض للأشخاص فقط، بل قامت باستحداث شركات لتمليك الأراضي، تم من خلالها منح آلاف الهكتارات من الأراضي، وكمثال عن تلك الشركات، نجد الشركة السويسرية في منطقة سطيف.⁽⁷⁾

1- (Enfantin- **colonisation de l'Algérie**, lib- P BERTRAND- Paris- 1843- p80.)

(2)- نتساءل هنا، هل كان للجزائر اقتصاد نضطر عليه بالاقتصاد الجزائري؟ أولا، لطالما شكلت الزراعة دعامة أساسية في اقتصاديات الدول من جهة، زيادة على أن الزراعة في الفترة الاستعمارية كانت عماد الاقتصاد في الجزائر ولذلك فقد ركزت فرنسا على الأرض وصاغت مختلف القوانين التي من شأنها تسهيل عملية الاستغلال لتلك الأرض من جهة أخرى، كما أن السلطات الاستعمارية عملت على ربط الاقتصاد الجزائري بالاقتصاد الفرنسي، وبالتالي لا يمكن أن نؤسس لوجود اقتصاد جزائري تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الذي عمل على نهب الخيرات والثروات، ومحاولة بناء اقتصاد كولونيالي يخدم الفرنسيين بالدرجة الأولى..، ينظر عماري أحمد- **النظام القانوني للوحدات الاقتصادية في الجزائر**- د م ج- الجزائر- 1984- ص 1.

(3)- في هذا الصدد، مع حلول 1925م، خلق الفرنسيون(= الكولون) لجنة للدعاية والعمل لإفريقيا الشمالية، تهدف إلى دراسة المسائل المتعلقة بالإبقاء على النظام الاستعماري القائم في الجزائر، ومحاولة مساعدة وتطوير الصناعة والزراعة والتجارة الاستعمارية بكل الوسائل ثم مواصلة العمل الاستعماري، للتعمق والاستزادة في هذا الصدد ينظر أحمد سميح حسن- **الاستيطان اليهودي في الجزائر (1830م-1962م)**- دار الكتاب العربي- الجزائر- 2014- ص 112.

(4)- تطلبت هذه السياسة، انتزاع ملكية الأراضي الزراعية والأراضي الخصبة من الجزائريين عنوة وتعويضها بملاك من أوربا بصفة عامة، ولعل النتائج المترتبة عن هذه السياسة كانت لها خطورة بالغة على الحياة الاجتماعية للسكان الجزائريين من خلال اعتبار أن الأرض هي مصدر الرزق الوحيد لهم من منطلق أن نسبة المزارعين الجزائريين تبلغ 70% من إجمالي السكان، وبالتالي فقد أحدثت هذه السياسة خلخلة في النسيج الاقتصادي والاجتماعي وحتى السكاني للبلاد من خلال عملية الهجرة التي عرفتها البلاد وامتدت آثارها لفترة طويلة من الزمن، حول هذه المسألة ينظر عبد المالك خلف التميمي- **الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي)- دراسة تاريخية مقارنة-** منشورات عالم المعرفة- الكويت- 1983- ص 21.

(5)- دحمان تواتي- **جماعة الملاك الكبار ودورهم في توجيه القرار الاقتصادي والسياسي في الجزائر (1900م-1954م)**- أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة 2- 2016- 2017- ص 22.

(6)- مجموعة باحثين- **تاريخ العرب الحديث**- دار الأمل- (د م ن)- 1998- ص ص 108- 109.

(7)- (direction de l'agriculture, du commerce et de la colonisation- **la colonisation en Algérie (1830- 1924)**- imp- administrative Émile Pfister- Paris- 1924- p7.)

كما قامت سلطات الاستعمار الفرنسي بممارسة سياستها الاستيطانية في شقها الثاني، والذي يعرف بالاستيطان الحر الذي بدأ مع تقلد الجنرال بيجو - Bugeaud لزام الأمور في الجزائر بداية مع العام 1840م، ودام العمل بقوانين نزع الملكية إلى 1950م⁽¹⁾، وهذا من خلال العديد من المراسيم والقوانين التي قامت سلطات الاستعمار بصياغتها.

2. الاستيطان، دراسة في حدود الاستلاب:

في إطار الاستيطان واستلاب الأراضي، تم مصادرة مساحات واسعة من أراضي - الأهالي - و إدعت فرنسا في ذلك لنفسها حقوقا ليست لها على أرض الجزائر ودعمت بها الكولون⁽²⁾، كما سعت بدرجة كبيرة إلى الترويج واجتذاب المهاجرين الذين لا يمكن الاستفادة من الأراضي المصادرة من دونهم، لهذا تورطت الإدارة الاستعمارية في فيما يسمى بـ "لعبة التشريع" وسن القوانين لاستخدامها كأسلحة للنهب⁽³⁾.

وعليه، فقد عملت الإدارة الاستعمارية الفرنسية على مصادرة أراضي الجزائريين بكل الطرق، ولعل أيادي الفرنسيين قد طالعت حتى أراضي الوقف والحبوس والتي تعتبر خطأ أحمرًا بالنسبة للجزائريين، وهذا كله في ظل التشريع العقاري بموجب قوانين مختلفة، نذكر منها القرار المشيخي 1863م وقانون وارييه⁽⁴⁾ - WARNIER في 1873م⁽⁵⁾، حيث تطورت مصادرة الأرض من 1847000 هـك سنة 1910م إلى 2344000 هـك سنة 1929م لتصل إلى 2720000 هـك سنة 1940م⁽⁶⁾ وكل هذا في ظل السيطرة على الأراضي الخصبة دون غيرها من البور التي طُرد إليها السكان⁽⁷⁾.

(1) - (Amar AMOURA- **résumé de l'histoire de l'Algérie**- éd- Raihana- Alger- 2002- pp 174- 175.

(2) - حسينة حماميد- **المستوطنون الأوربيون والثورة الجزائرية 1954م - 1962م** - منشورات الحبر - الجزائر - 2007 - ص 21.

(3) - إبراهيم مياشي- **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830م - 1962م** - غرناطة للنشر والتوزيع - الجزائر - 2013 - ص 121.

(4) - أوغيسست أوبرت وارييه- August Hubert Warnier (1810م - 1875م): طبيب وسياسي فرنسي، كما أنه نائب عام عن الجزائر ما بين 1871م - 1875م، اهتم بالزوايا والطرق الصوفية التي حاربت الاستعمار الفرنسي في الجزائر، كانت له توجهات اقتصادية من خلال امتلاكه لضيعات زراعية بالحروب في قسنطينة ومؤسسات منجمية في إيدوغ، زيادة على اهتمامه بالسكك الحديدية الجزائرية، عرف بسياسته المعادية للجزائر والجزائريين ولعل الدليل على ذلك استنطاقه للأسرى في سانت مارغريت بالإضافة إلى دفاعه المستميت عن الكولون ومصالحهم، كما اعتبر من أنشط العناصر التي اهتمت بمصادرة الأراضي ضمن اللجنة المكلفة بذلك، حول هذه النقطة ينظر عيسى يزيد- **السياسة الفرنسية تجاه الملكية العقارية في الجزائر 1830م - 1914م** - رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر - جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر - 2008 - 2009 - ص ص 74 - 75.

(5) - رغم القرارات التعسفية في نزع الملكية، إلا أن الجزائريين بقَّو متشبثين بتلك الأرض، الأمر الذي دفع سلطات الاحتلال إلى استصدار بعض القوانين لانتزاع الملكية ومن بين تلك القوانين قانون وارييه- WARNIER الذي يعتبر من بين أخطر الإجراءات التي قامت بها الجمهورية الفرنسية - الثالثة - وذلك عبر الاستنزاف الناتج عن البيع القسري، وهو ما يفسر تحول ملكية قرابة 432388 هـك إلى يد الكولون في ظرف 20 سنة، حيث وصلت ملكية الكولون في حدود 1930م إلى 2720000 هـك.

(6) - (Marcel EGRETAUD, **réalité de la nation Algérienne**- éd- sociales- Paris- 1961- pp 90- 91.

(7) - (Jules DUVAL, **l'Algérie et les Colonies Françaises**- lib- Guillaumin et Cie- Paris- 1877- p 40.

وعليه فالسبب الرئيسي في بؤس- الأهالي- هو انتزاع مساحات كبيرة من أجود أراضيهم⁽¹⁾، على يد فرنسا عبر الحجز أو المصادرة أو التنازل الإداري⁽²⁾، وهي الظاهرة التي لطالما بقيت بقاء الاستعمار الفرنسي في الجزائر، والتي تندرج تحت نزع الملكية⁽³⁾ - la dépossession، حيث مارستها سلطات الاحتلال بكل وسائل التهيب والعنف العسكري والجزر الإداري⁽⁴⁾.

يَفْتَرِضُ هذا الاستغلال (= استغلال الأرض ومن عليها) منذ بداياته- عنصريين أساسيين-، يتمثل الأول في ترسيخ العلاقات الاجتماعية الرأسمالية، وبالتالي تحطيم العلاقات الاجتماعية ما قبل الرأسمالية (البنى الأصلية) من جهة، إضافة إلى إخضاع هذه الأخيرة للبنى الرأسمالية الجديدة، وهو شرط لاستمرار الوجود الاستعماري، وهو ما أرادت الإدارة الاستعمارية الفرنسية وما عمل من أجله مُنْظَرُو الاستعمار في الجزائر⁽⁵⁾.

فبالرجوع إلى قانون 1919م الذي خص التتر القليل جدا بالنسبة للميدان الاقتصادي، من خلال منح صفة المواطنة الفرنسية لاعتبارات اقتصادية قصد المساهمة في الاقتصاد الفرنسي وذلك للملاك الكبار والتجار وأعضاء غرفة الفلاحة، والذي فازوا في مسابقات الفلاحين أو مسجلين في قائمة دافعي الضرائب التي هي على كواهلهم⁽⁶⁾.

واعتبارا من أن القانون ذو طابع إصلاحي، فإنه نص كذلك على إلغاء القانون التعسفي الذي كان يمنع الجزائريين من حق الرعي في الغابات، ويفرض عليهم حراستها مجانا، ويعرّم جميع من هم قريبين من الغابة التي شهدت حريقا، زيادة على حد وضع لنهب الأراضي الشخصية- ممتلكات الأشخاص من الأراضي- وأراضي العروش وأراضي القبائل- ممتلكات جماعية-⁽⁷⁾.

(1)- في هذا السياق، كان كاهل الجزائري يزرع تحت ثقل الضرائب المفروضة عليه، وأمام تلك الضرائب إلى جانب الديون الربوية التي لطالما عجز عن تسديدها والتي لعب فيها المربون اليهود دورا مخزيا، فإن كل ذلك ساهم في لجوء الجزائريين إلى بيع أراضيهم، لدفع تلك الديون وبأثمان بخسة، والتي لجأت من خلالها سلطات الاستعمار إلى حد نزع أسقف المنازل زيادة على احتجاز عائلاتهم قصد الضغط عليهم من أجل دفع الديون، ولعل ما يهمنا هنا هو اتخاذ تلك الضرائب والديون كدافع للضغط على الجزائريين على التخلي على أراضيهم والتنازل عنها...، للتدقيق في الموضوع أكثر ينظر جمال قنان- التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية تسلطية واستغلالية، أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي-الجزائر- 02- 03 جويلية 2006- ص ص 63- 64

(2)- أسامة صاحب منعم مساعد- الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الإدارة الاستعمارية (1830م-1962م) ومحاولات البحث عن النفط قبل الاستقلال- مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية- ع3- مج4- ص223.

(3)- تندرج هذه السياسة في إطار ما يعرف باستراتيجيه الاستعمار الغربي في القضاء على المقومات الاقتصادية- وخاصة منها تلك الدول التي يعتمد شعوبها على الأرض كمصدر رزق- وتحطيم البنية الاجتماعية، والتي وقعت فريسة أمام التوسع الفرنسي ضمن سياسة الملكية العقارية، والتي ترتب عنها تغيير ملامح المجتمع بعد تشويه ذلك الاستعمار لأبنيته السياسية والاقتصادية والاجتماعية...، بصدد هذه النقطة ينظر عبد العالي رزقي- الدولة الجزائرية الحديثة (الاقتصاد والمجتمع والسياسة)- دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة- 2004- ص4.

(4)- (Djillali SARI- La Dépossession des Fellahs (1830-1962)- éd-SNED- Alger- 2e édition- 1978- P 167.

(5)- الطاهر عمري- الاستعمار الاستيطاني الفرنسي وتأثيراته على البنى الاجتماعية الجزائرية إلى نهاية القرن التاسع عشر- الندوة العلمية الدولية الأولى حول آليات الاستعمار الاستيطاني الأوربي في الجزائر وليبيا- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة- ماي 2008- ص 140.

(6)- محمد بكار- المرجع السابق- ص ص 42- 43.

(7)- حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي- المرجع السابق- ص 39.

وعليه، فقد قام نواب المسلمين برفع اهتمامات الفلاحين، وهذا ما ترجمه اجتماع المندوبيات المالية فرع-الأهالي العرب- في ماي 1920م، حيث طرح المشاكل التي يعاني منها الفلاحون الأهالي- كما دعا في هذا الصدد إلى رفع القروض، وطالب الشركات الأهلية للاحتياط بتقديم تسهيلات.⁽¹⁾

أما فيما يخص سياسة فرنسا في إطار الاحتفالات المئوية في الجانب الاقتصادي فقد نوّعت - بمجهودات الكولون الجبارة- في مجال الفلاحة⁽²⁾، الذي أشار له سياسيو فرنسا في سبيل خدمة الوطن- الأم- فرنسا بمناسبة الاحتفالات المئوية، هو دليل على التعنت الفرنسي ضد شعب أعزل تم مصادرة أرضه ومنحها للكولون وتمجيد مساعيهم.⁽³⁾

وعن سيطرة الفرنسيين على أراضي الجزائريين في إطار مشروع فيوليت، والمشروع الذي يمتد ضمنه، مشروع بلوم- فوليت، فإنه لا تستند أي حصة مما تم استلابه من الممتلكات الريفية إلا إذا كانت أقل من 100 هكتار، ليعاد النظر مستقبلا في المستعمرات الممنوحة داخليا، ويضاف لهؤلاء المالكين لهذه الحصص، أرض أخرى تصل إلى 100 هكتار تحت اسم الممتلكات العامة.⁽⁴⁾

وبخصوص تلك التوسعات، فإن الأراضي ستضم إلى أملاك الدولة، وهذا من دون أن تكون تلك الأرض المنزوعة ملكا أو عرشا- بمعنى أن ملكية تلك الأرض ليست ملكا لعرش-، كما أن الأراضي الهامة ستؤخذ تخصيصا للمحيط الغابي، وهذا لاقطاعات تكون على الغابات في كل العمالات الثلاث كما تؤخذ مصاريف قطع الأشجار بعين الاعتبار من طرف الدولة.⁽⁵⁾

ولعل فرنسا قد انصب نظرها على الاقتصاد الجزائري منذ القدم، وبالخصوص في فترة ما بين الحربين العالميتين (1919م- 1939م)، وبالتحديد في الفترة التي أعقبت ح 1، من أجل تعويض الخسائر التي شهدتها في تلك الحرب، مركزة على الملكية العقارية التي تشكل دعامة الاقتصاد.⁽⁶⁾

(1)- بشير سحولي- المرجع السابق- ص 185.

(2)- بالنسبة للفلاحة وقصد تطويرها- في سبيل خدمة الكولون ومصالحهم وليس في سواد أعين الجزائريين-، فإن سبط الاستعمار الفرنسي قد أنشأت في ذلك الصدد مدرسة الفلاحة التجريبية بمبادرة من الولاية العامة في الجزائر، وينتهي ذلك التعليم بإعطاء معارف نظرية تحول لصاحبها كيفية فهم الأساليب الفلاحية، وقد كانت هذه المدرسة تستعمل نواب أرباب أملاك أو مكرمين لتقديم تلك الدروس التي تساهم في ترقية الفلاحة الجزائرية، فالتعليم في تلك المدرسة اختبري تعلم الفلاحة وتربية المواشي ومسح الأرض قيمتها والحدادة والنجارة، زيادة على ذلك فإنها تقدم دروسا في اللغة الفرنسية... حول هذه المدرسة ولمعرفة المزيد عنها ينظر جريدة النجاح- ع 985- السنة العاشرة- 19 جويلية 1930.

(3)- كإشارة إلى القضاء على بنية المجتمع فإن فرنسا وبصدد هذه الاحتفالات، ركزت في سياستها على جميع الجوانب سواء السياسية منها أو الاجتماعية أو الدينية أو غيرها، فمثلا عن الجانب الديني اعتبرت تلك الاحتفالات كما سبق الذكر احتفال بتشييع جنازة الإسلام وإحلال محله المسيحية التي حاولت فرنسا إحياءها، أما في الجانب الاجتماعي فإنه من أبتشع صنيع فرنسا أن تحتفل بمجدها في الجزائر في ظل القهر الذي يتعرض له الشعب بسبب تلك الاحتفالات الاستفزازية.

(4)- (Maurice VIOLETTE- l'Algérie vivra-t-elle ? notes d'un ancien gouverneur général- éd- Félix ALCAN- Paris- 1931- p 93.

(5)- منذ 1926م ظهرت هناك- امتيازات- جديدة تم توزيع من خلالها 225000 هكتار على 1200 من الكولون وهو ما زاد من عدد الفلاحين الأوروبيين، الأمر الذي ساهم كذلك في ارتفاع عدد الضيعات الفلاحية- les domaines والتي زادت ملكياتها عن الـ 500 هكتار من الأراضي الخصبة... حول هذه النقطة ينظر: E- ALBERTINI et autre- l'Afrique du nord française dans l'histoire- éd- Archat- Paris- 1937- p 304.

(6)- حياة ثابتي- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالقطاع الوهراني 1929م- 1954م- أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- 2010- 2011- ص 4.

وبالحديث عن سيطرة الفرنسيين على الأراضي الزراعية، فإن الفلاحة في الجزائر الكولونالية تميزت بالتركيز المتزايد في القطاع الأوربي⁽¹⁾، هذا التركيز أدى إلى تعزيز التوجه نحو تصدير الإنتاج الفلاحي⁽²⁾، وهو ما مثله تبني إنتاج كروم جزائري ابتداء من 1890م، وعليه تم تخصيص قرابة 273000 هك لذلك سنة 1917م لتصل إلى 400000 هك في 1940.

وفي هذا السياق، إدعت سلطات الاستعمار الفرنسي المكلفة بوضع برامج الإصلاحات في إطار الزراعة الكولونالية، بتوزيع أراضي على الفلاحين الجزائريين في الظاهر، لكنها في الحقيقة لم تساهم إلا في تكريس البؤس في العالم الريفي، حتى وإن شكل ذلك تدابير تهدئة سياسية تجاه العالم الفلاحي في الجزائر، والذي تبني الوطنية الريفية أسلوبا له لرد الفعل تجاه الصدمة الزراعية في فرنسا.⁽³⁾

وباعتبار أن الجزائر بلد زراعي، فإن سلطات الاستعمار الفرنسي قد قامت باستغلال أراضي الجزائر في إطار استغلال الموارد الطبيعية خدمة للمشروع الاستعماري، ومما دل على ذلك التقارير العديدة التي صيغت حول الموضوع، ومما نجده في هذا الصدد تقرير، ومن أهم جاء فيه مايلي: "إن الجزائر ذات مناخ جميل وأرضها طيبة توجد فيها مراعٍ واسعة وسهول فسيحة، تكثر فيها منتوجات أمريكا والهند...".⁽⁴⁾

3. تأثيرات الاستيطان وتداعياته الاقتصادية والاجتماعية:

بعد سيطرة الجزائريين على أراضي الجزائريين ضمن سياسة الاستيطان، شرعت في إقامة ما يعرف بالزراعة الكولونالية، وهذا من خلال زراعة ما يناسبها وما يخدم - الوطن الأم - بداية من الحبوب من منطلق أن هذه الأخيرة - القمح بالدرجة الأولى -⁽⁵⁾ كانت سببا من أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر (= قضية الديون)، ولذلك شجعت سلطات الاستعمار على هذه الزراعة خاصة بعد ارتفاع أسعارها وارتفاع إنتاجها من 08 قناطير في هك الواحد سنة 1920م إلى 12 قنطارا في هك الواحد سنة 1935م.⁽⁶⁾

(1) - قدرت مساحة الأراضي بـ 16,8 مليون هك منها 6,8 مليون هك من الأراضي الزراعية، بما يقارب نصف هكتار لكل نسمة في الوجه العام، أما في الحقيقة فإن تلك الأراضي كلها قد كانت بيد الكولون الذين تحصلوا عليها بموجب قرارات وقوانين تصفية في إطار السياسة المعروفة بانتزاع الملكية الزراعية، وعليه فالأراضي الزراعية التي كان يملكها الكولون في النصف الأول من القرن 20م وصلت في حدود 1940م 2720000 هك، كانت كلها في سياق تحطيم روح الملكية الزراعية الجماعية الجزائرية في ظل القضاء على الزراعة السائدة وتعويضها بزراعات أخرى وخاصة منها الكروم وذلك بعد وبائي - الميليديو والفلوكسيروا - اللذين =لحقا زراعة الكروم في فرنسا... حول هذه النقطة ينظر إسماعيل العربي- التنمية الاقتصادية في الدول العربية (في المغرب) - ج2 - SNED - الجزائر - (د ت ن) - ص ص 112 - 113.

(2) - يمكن تفسير عامل التركيز في الفلاحة الأوربية بفشل الاستيطان الفلاحي، كما تم تصوره في الأصل في أول الأمر من خلال تولي السلطات الاستعمارية بنفسها مهمة إقامة الفلاحين الأوربيين، غير أن التكلفة الباهظة أجبرتها على التخلي عن العملية لصالح شركات خاصة بدءا من العشرينات، حول هذه النقطة ينظر هارتموت إلزغاس - فشل الاستعمار الفرنسي في الجزائر - تر: أحمد ابن محمد بكلي - دار القصة للنشر - الجزائر - 2015 - ص 60.

(3) - محمد الصالح الصديق - الجزائر بلد التحدي والصمود - موفم للنشر - الجزائر - 2007 - ص 77 - 78.

(4) - محمد العربي الزيري - تاريخ الجزائر المعاصر - ج1 - منشورات اتحاد الكتاب العرب - (د م ن) - 1999 - ص ص 42 - 43.

(5) - تتمثل زراعة تلك الحبوب في القمح - سواء الصلب منه أو اللين - بالدرجة الأولى كما سبق وأن أشرنا، زيادة على ذلك نجد من الحبوب الجزائرية الشعير بالإضافة إلى الخرطال والذرى، كما لا يمكن في هذا الصدد إهمال زراعة البقوليات من الفول والعدس والفاصوليا، لكن تبقى مساحات هذه الزراعات - أي زراعة الحبوب - قليلة بالمقارنة مع المساحات المخصصة لزراعة الكروم، ولتعويض خسائرها في هذه الزراعة في الأراضي الفرنسية بعد المرض الذي أصيبت به مثل تلك الزراعات.

(6) - عبد الحكيم رواحنة - السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1870م - 1930م - رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة الحاج لخضر - باتنة -

وبالتالي، هذا ما يفسر لنا أن زراعة الحبوب⁽¹⁾ قد لقيت حظها ضمن الزراعة الكولونيالية، بحيث تم تخصيص 835000 هكتار وهو المتوسط السنوي لزراعة الحبوب طيلة العشرية الممتدة من 1915م إلى 1924م، وبعدها أصبح هذا المتوسط 815000 هكتار في العشرية الممتدة من 1925م إلى 1934م)، ليصل إلى 862000 هكتار ما بين 1935م - 1944م.⁽²⁾

في ظل هذا، فقد اتبعت الإدارة الاستعمارية ما يعرف بالحماية للقمح⁽³⁾، من منطلق الرسوم الباهظة التي فرضت في ذلك الصدد لتخفيض فيما بعد، بحيث تم فرض رسوم وصلت إلى 5 فر للقطار في ظل الضغط السياسي لمزارعي الحبوب الفرنسيين⁽⁴⁾، إلى جانب التحالف على هذه القاعدة بين البورجوازية الفرنسية والقرويين الفرنسيين إلى جعل الرسم 7 فرنكات على القطار الواحد، وهو التدبير الذي سمح في الأخير باستئناف زراعة الحقول قمحا.⁽⁵⁾

ولنا أن نوضح إنتاج الحبوب في الجزائر بين 1928م - 1935م وفق الجدول الآتي:

الجدول 01: جدول يمثل إنتاج الحبوب في الجزائر بين 1928م - 1935م.

(1) - تجدر الإشارة إلى أن الزراعة كانت تحت يد المستعمرين الذين يملكون أخصب الأراضي وبالرغم من نقص التقاويم وعدم توافرها وهي تصدر عن الأقسام الإدارية للولاية العامة، فإن أقل نظر بالإمعان في الأعداد الواردة في تلك التقاويم والتي تمثل مفارقة كبرى بين الجزائريين وما يملكونه من أراضي و الكولون وما يملكونه بالعودة إلى الـ 5780000 هكتار لملاك فرنسيين بالمقارنة مع 2300000 هكتار بيد 687000 أهلي - مسلم، وبالتالي فقد تحول نمط الإنتاج بحكم تحول الملكية الزراعية للأراضي من خلال تغير الإنتاج من إنتاج معاشي - حبوب - إلى إنتاج ربحي - زراعة الكرمة -..، للتعلم في هذا الصدد راجع يحي بوعزيز - سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830م إلى 1954م، ولبه السياسة الاستعمارية من خلا مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م - 1954م) - دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر - 2009 - ص 77.

(2) - لا يبنى الإنتاج المحسوب بالمتوسط السنوي للفترة المذكورة إلا باختلافات طفيفة، فقد كان في فترة من 1915م إلى 1934م يقارب 6700000 ق وبلغ 7129439 ق في الفترة من 1935 إلى 1944م، وبالتالي لا تبدو هذه الزيادات في إنتاج الحبوب بذات أهمية إطلاقا ولا تبرر التصريحات الحماسية لعدد من المهندسين الفلاحين الجزائريين في فترة الاحتلال، وإذا كان التقدم الملحوظ فيما بين 1900م - إلى 1939م في إنتاج القمح اللين ليس محل شك، فإنه لا شك أيضا في أن هذا التقدم لم يكن في مستوى ضرورات الوضعية ولأن الجزائريين أصبحوا من مستهلكي الخبز الأوربي فقد كان استهلاك القمح مرتفعا دائما إلا أن العادات لم تتغير إطلاقا، فبالرغم من التقدم التقني والارتفاع الطفيف في استعمال الأسمدة فقد ظلت في حدود 08 ق للهكتار الواحد لكل أنواع الحبوب (= 8.6 ق في العشرية الممتدة من 1930م - إلى 1939م بالنسبة للقمح الصلب والقمح اللين على حد سواء)، للتفصيل ينظر شارل روبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، المرجع السابق، ص 789 - 790.

(3) - شجعت زراعة القمح، اعتبارا من أن زراعته قد عوضت فيما بعد بزراعة الكروم التي عرفت تضاعفا للمساحات المزروعة فيما بين الحربين، والتي كانت قد عرفت تطورا من ذي قبل في خضم ارتفاع أسعار التجهيزات والآلات الزراعية..، ينظر أحمد بلعكي - المسألة الزراعية أو الوعد الرائد في ريف الجزائر - منشورات عويدات - بيروت - ط1 - 1985 - ص 66-67.

(4) - عبد اللطيف ابن اشهو - تكوين التخلف في الجزائر - محاولة لدراسة حدود التنمية الرأس مالية في الجزائر بين عامي 1830م - 1962م - تر - مجموعة من الأساتذة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1979 - ص 150.

(5) - عائدة حباطي - التجنس وموقف الجزائريين منه 1919م - 1939م - رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة - 2003 - 2004 - ص 66.

السنوات:	1929-1928	1930-1929	1930-1931	1932-1931	1933-1932	1934-1933	1935-1934
المساحة هك:	3193198	3328807	39565156	3026745	3158542	3049768	3035905
الإنتاج قنطار:	19907031	19393877	14042488	15801513	17773901	23060696	17221502

المصدر: عايدة حباطي - 2033، 2004 - ص 67.

أما بالنسبة للشعير الذي يعتبر المنتج الثاني بعد القمح فقد نال حصته هو الآخر، على اعتبار الاستخدام الواسع له حيث يستعمل كعلف للحيوانات وغذاء للإنسان وللتصدير من أجل صناعة الجعة، وعلى هذا الأساس أولت سلطات الاحتلال أهمية بالغة بهذا المنتج هو الآخر، الأمر الذي أسفر عن إنتاج بلغ قرابة 8500000 ق في مساحة 1300000 هك.⁽¹⁾

وبالنسبة للحوامض، فقد شكلت هي الأخرى نوعاً من أنواع- المزروعات- التي اندرجت ضمن سياسة فرنسا الاستعمارية في شقها الاقتصادي من خلال- محاولة تطوير- غراسة أشجار الحوامض والتي حظيت بعناية تامة، هذه العناية التي أولاهها الجزائريون قبل الفرنسيين، انطلاقاً من الإنتاج الوافر، ودليل ذلك ما أدلى به أحد الضباط حيث أنهم كانوا قرابة 8 آلاف جندي، وكان معدل- الاستهلاك- أو إفساد الجندي الواحد للبرتقال في مزارع البلدية حوالي 50 برتقالة يومياً، وتم مغادرة المنطقة لتبقى الأشجار على حالها وكأنها لم تمس مطلقاً.⁽²⁾ إلى جانب زراعة الحمضيات، فقد اهتمت سلطات الاحتلال كذلك بزراعة التبغ، ونسجل في ذلك المزرعة المخصصة لأحد الكولون المسمى "مانك- Manque"، فقد استثمر هذا الأخير رفقة عدد من أصدقائه في غراسة التبغ اعتباراً من أنها زراعة ربحية، والتي لقيت رواجاً كبيراً خاصة في الفترة الممتدة من 1917م- إلى غاية 1932م، في ظل تشجيع سلطات الاحتلال.⁽³⁾ كما لا يمكننا في هذا الصدد إغفال إنتاج التمور، والتي أولت سلطات الاحتلال أهمية بالغة بها خدمةً لمشروعها الكولونيالي، ولذلك فقد عملت على تثبيت الكولون في الواحات بعد منحهم امتيازات الأراضي⁽⁴⁾ ولذلك قام هؤلاء باستغلال المياه الجوفية بشكل مفرط، وهو ما أدى إلى تضاعف عدد الآبار وتضاعفت معه عدد أشجار النخيل.⁽⁵⁾

(1)- أحمد توفيق المدني- هذه هي الجزائر- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- (د ت ن)- ص ص 116- 117.

(2)- عبد الله شريط ومحمد الميلي- الجزائر في مرآة التاريخ- مكتبة البعث للنشر- قسنطينة- ط1- 1965- ص ص 244- 245.

(3)- René BOUYAC- histoire de Bone- imp- courier de Bone- (sl)- 1941- p 227.

(4)- مما تجدر الإشارة إليه أنه في إطار السياسة الاستعمارية ضمن مغوية الاحتفالات، اهتمت فرنسا بالمسائل الاقتصادية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع مصالحها، ولذلك اهتمت بالطرق والمعايير والمواصلات في الصحراء التي تعتبر هي الأخرى مصدراً للثروة، كما لم تهمل المشاكل الفلاحية المتعلقة بالزراعة الكولونيالية، وهو ما يؤكد استثمار الكولون في تلك الاحتفالات اعتباراً من الكفة التي مالت لصالحهم فيها، ينظر إلياس نابت قاسي- الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي في الجزائر وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية- رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الجزائر 2- الجزائر- 2002- 2003- ص 92.

(5)- J. P- KBEMER- projet de colonisation de l'Algérie- ed- dusacq- Paris- 1848- p 23.

ولعل هدف الكولون الذين استوطنوا الواحات من هذه الأعمال كلها، هو إنتاج المزيد من التمور وتصديرها إلى فرنسا ثم أوروبا ككل⁽¹⁾، وهو ما نوضحه- الإنتاج المُسَوَّق- عبر الجدول الآتي:

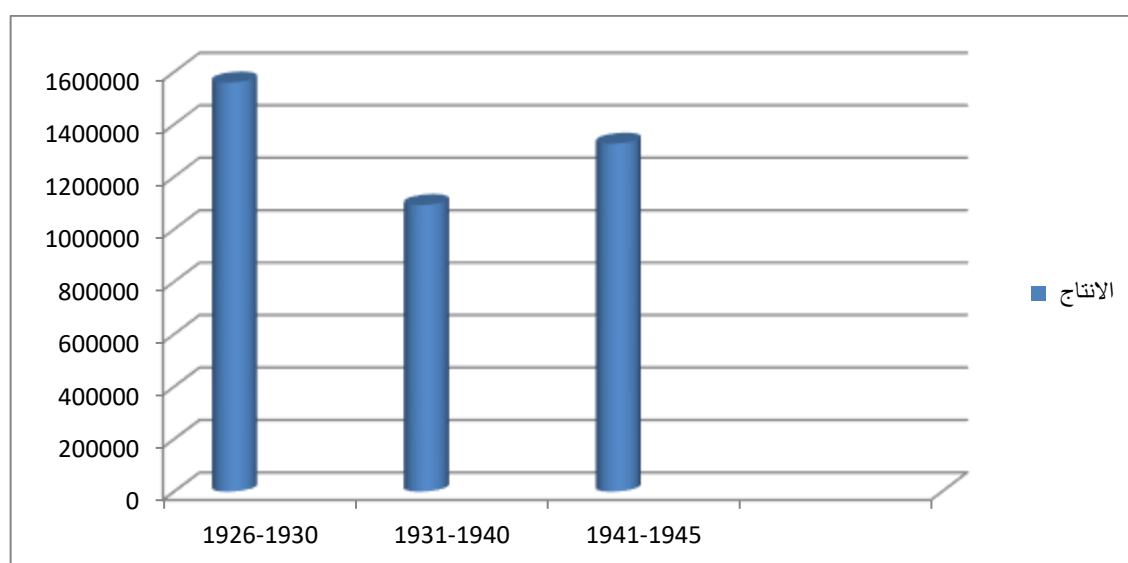
الجدول 02: جدول يمثل إنتاج التمور في الجزائر ما بين 1926م- 1945م.

السنوات:	1930 - 1926	1940 - 1931	1945 - 1941
الإنتاج بالقنطار:	1560000 ق	1093000 ق	1327000 ق

المصدر: عدة بن داهة- 2015 - ص 208.

وللتوضيح أكثر نحول معطيات الجدول إلى الرسم البياني الآتي:

أعمدة بيانية تمثل تطور إنتاج التمور في الجزائر في فترة ما بين 1926م- 1945م



المصدر: من إنجاز الباحث بالاعتماد على المعطيات الواردة لدى عدة بن داهة- 2015- ص 208.

من خلال الأعمدة البيانية لكمية التمور المسوقة نحو- فرنسا ومنه أوروبا- نستشف أن سلطات الاستعمار الفرنسي قد عملت على استغلال ثروات الجزائر بكل أنواعها، وقد سجلت فترة ما بين الحربين استغلال ما يزيد عن 3653000 قنطار من التمور، حيث بلغت قيمة التصدير ما بين 1926م- 1930م الذروة بـ 1560000 قنطار للتراجع فيما بين 1931م- 1940م بسبب ضالة المنتج، ليعرف بعدها (1941م- 1945م) ارتفاعا في إطار تلبية متطلبات فرنسا وتمويلها في الحرب العالمية الثانية.

أما بالنسبة لزراعة الخمر (= زراعة الكروم المستفاد منها في صناعة الخمر) فقد شهدت هي الأخرى تطورا معتبرا في فترة ما بين الحربين العالميتين، فقد كانت تبدو أكثر مما كانت عليه سنة 1914م، وكأنها الأساس الاقتصادي للجزائر الفرنسية، وفي هذا السياق عبّر لويس برتران- Louis BERTRAND سنة 1931م عن الثروة التي تزخر بها الجزائر في مجال غراسة الكروم، نحو قوله: "...إن الجزائر مزرعة كروم واسعة تغطي بلدا كبيرا كفرنسا، ولذلك فهي تُخرُ خمر حقيقي...".⁽²⁾

(1)- عدة بن داهة- الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي في الجزائر (1830م- 1962م)- ج 1- دار الكوثر للنشر والتوزيع- الجزائر- ط 1- 2015- ص 207- 208.

(2)- شارل روبير أجرون- تاريخ الجزائر المعاصرة- ج 2- تر- عيسى عصفور- منشورات عويدات- بيروت- ط 1- 1982- ص 792.

وعلى هذا الأساس، تتضح مليا رغبة فرنسا في زراعة الكروم، والتي كانت (= زراعة الكروم) أحد العوامل الهامة وراء استحوادها على المزيد من الأراضي الفلاحية لزراعها كروماً، يُحوّل عنبها إلى خمور، ومن هذا المنطلق، احتل هذا النوع الزراعات (= زراعات صناعية ربحية) مكانة هامة في المشروع الاقتصادي الاستعماري الفرنسي.⁽¹⁾

وعليه، يمكن القول أن الزراعة الرئيسية في هذا القطاع، هي زراعة الكرمة التي عرفت انطلاقة كبيرة منذ 1880م على إثر مرض الفيلوكسيرا- phylloxera الذي أصاب زراعة الكروم في فرنسا، ولعل هذه الزراعة قد شغلت سنة 1930م 25000 هك من الأراضي⁽²⁾، الأمر الذي ساهم في إنتاج 12 مليون هكتولتر من النبيذ على اعتبار أن تلك الكروم كانت في غالبيتها تُكروم موجهة لإنتاج الخمر.⁽³⁾

ولعل الجدول الآتي يوضح لنا ذلك:

الجدول 03: جدول لمقارنة المساحة المزروعة في الجزائر بالانتاج والتصدير للنبيذ في الجزائر ما بين 1921م- 1934م.

السنة:	المساحة: (هك)	الإنتاج: (هكتولتر)	التصدير: (هكتولتر)
1921م	168742	7034267	/
1924م	180757	10141589	7394048
1927م	207367	8402618	7121531
1930م	234916	12821141	10939304
1934م	373292	16631032	11625304

المصدر: عبد اللطيف بن أشنهو- 1979، ص 166.

من خلال معطيات الجدول نلاحظ تزايدا في المنتج، اعتبارا من أن المنتج كان سنة 1921م 7034267 هكتولتر، ليصبح بحلول العام 1934م 16631032 هكتولتر، وهذا راجع إلى الاهتمام بغراسة الكروم المستعملة في إنتاج الخمر، تحقيقا للمشروع الاستعماري، وفعلا ارتفعت الصادرات بارتفاع الإنتاج حيث كان سنة 1924م 7394048 هكتولتر، ليصبح سنة 11625304 هكتولتر. وفيما يخص مردود الكروم والتي وجهت لصناعة الخمر، فإن الوضع كان أفضل مما كان عليه في فرنسا، والجدول الآتي يوضح لنا ذلك: (الوحدة= هكتولتر في الهكتار)

(1)- عدة بن داهة- الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي في الجزائر (1830م- 1962م)- ج1- دار الكوثر للنشر والتوزيع- الجزائر- ط1- 2015- ص 209.

(2)- أدركت الجمهورية الفرنسية الثالثة أهمية زراعة الكروم وخاصة بعد ما أصاب تلك الزراعة في فرنسا، فقامت بإدخال زراعة الكروم وهذا كله في ظل إهمال إنتاج القمح الذي هو غذاء الجزائريين، ولذلك فإن سنة 1880م قد مثلت نقطة مهمة في تاريخ زراعة الكروم في الجزائر نتيجة تطور المساحات المخصصة لها الأمر الذي أسهم كذلك في تطور إنتاج الخمر والنبيذ، للتدقيق في هذا الصدد راجع:

Jules CARLONAL- l'Algérie et ses produit- lib- Editeur- Alger- 1922- p177.

(3)- عدي الهواري- الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي (1830م- 1960م)- تر- جوزيف عبد الله- دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط1- 1983- ص 158.

الجدول 04: جدول يمثل انتاج الكروم الموجهة لصناعة الخمر في فرنسا فيما بين 1918م- 1928م.

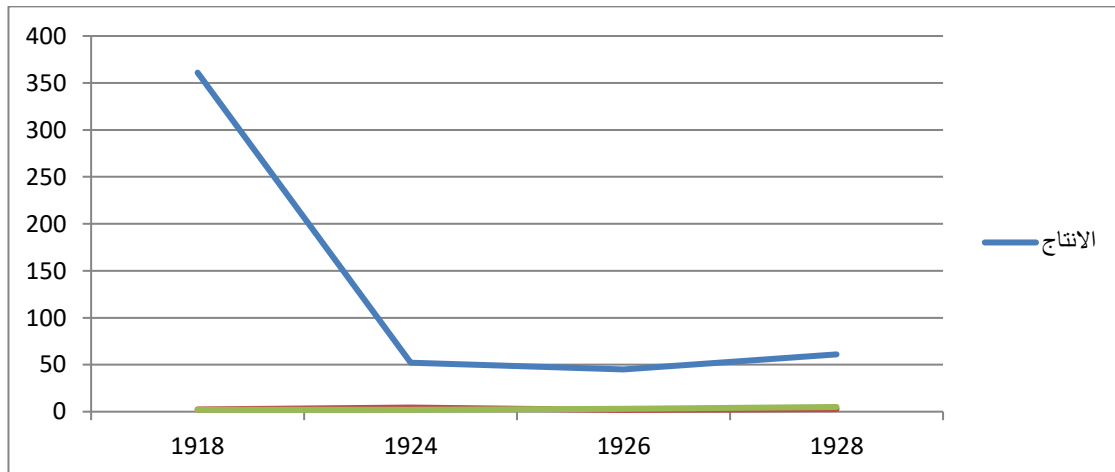
السنة:	1918م	1924م	1926م	1928م
الإنتاج:	361.	52.	45.	61.

المصدر: عبد اللطيف بن أشنهو - 1979، ص 167.

نلاحظ من خلال الإحصائيات الواردة في الجدول أعلاه، أن الوضع كان مغايراً تماماً في فرنسا لما كان عليه في الجزائر، وهذا بالرجوع إلى كمية الإنتاج، ولعل السبب في ذلك راجع إلى داء الفيلوكسيرا الذي انتشر بدرجة كبيرة في هذه السنوات والذي أتى على مساحات كبيرة من الكروم في فرنسا، بالإضافة إلى اهتمام الفرنسيين كثيراً بغراسة الكروم الموجهة لإنتاج الخمر في الجزائر، اعتباراً من أن هؤلاء قد وجدوا في البلاد (= الجزائر) بيئة خصبة لذلك.

ولدراسة قيم الجدول الخاص بإنتاج الخمر في فرنسا، نمثل تلك القيم في المنحنى البياني الآتي:

منحنى بياني يمثل تناقص إنتاج الخمر في فرنسا في الفترة الممتدة ما بين 1918م إلى غاية 1928م.



المصدر: من إنجاز الباحث بالاعتماد على المعطيات المدونة في الجدول أعلاه.

من خلال المنحنى البياني، نلاحظ التراجع الكبير لصناعة الخمر، حيث سجلت سنة 1918م 360 هكتولتر في الهكتار، لتصل سنة 1928م إلى 61 هكتولتر في الهكتار، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى العامل الطبيعي - من خلال الجفاف - بالدرجة الأولى الذي أثر على المحصول، زيادة على الأمراض الطفيلية التي أصابت الأشجار وخاصة داء الفيلوكسيرا - *Phylloxera* وما ترتب عنه من رداءة للمنتوج.

وفي هذا الصدد، لا يمكن إهمال الزراعة المتعددة التي قامت إدارة الاحتلال بتوفير كل الظروف التي تساهم في النهوض بقطاع تلك الزراعة، على غرار الاهتمام بسياسة الري، وهذا كله خدمة لمصالحها، ولعله من الواجب ذكر الزراعات المتعددة من حبوب، خضار جافة، زراعات صناعية، زراعة العلف، الخضار، الفواكه⁽¹⁾، بالإضافة إلى زراعة القطن والتي اهتمت بها خاصة في فترة ما بين الحربين (1919م- 1939م) حيث عوضت نقص الصوف نتيجة تراجع تربية المواشي.⁽²⁾

(1) - عبد اللطيف بن أشنهو - الهجرة الريفية في الجزائر - منشورات مركز الأبحاث في الاقتصاد التطبيقي - الجزائر - (د ت ن) - ص 31.

(2) - عدة بن داهة - المرجع السابق - ج 2 - ص 218.

أما بالنسبة لتأثيرات الاستيطان الاجتماعية، فبعد انتزاع فرنسا لأراضي الجزائريين أجبرتهم على العمل عند الكولون في المزارع بعد انتزاع تلك الأرض منه، والتي كانت مصدر رزقه⁽¹⁾، وفي المنازل أيضاً- الرجل في الحقل والمرأة في المنزل-، وما لا شك فيه، أن كل هذا الظلم والاحتقار والاستغلال كان في ظل الضرائب المجحفة التي فُرضت على الجزائريين وأرهقت كاهلهم، حيث وصل الحد بجشاعة الفرنسيين إلى تغريم البعض كونه ركب حماراً أو ذبح ديكاً أو أكل خبزاً في الغابة!⁽²⁾

ففيما يتعلق بهذه المسألة، فإن منظري الاستعمار يرون أن الزمن كان من الممكن أن يمنح المجتمع الجزائري تكييفاً مع الواقع المطروح الذي اصطبغ بسياسة التفجير⁽³⁾، من خلال القبول بالواقع الاستعماري، لو لم يكن هناك ما يسمونه بالعاطفة الخفية باتجاه الإسلام والتي ظلت تغذي طموحات الاستقلال لدى الجزائريين بصفة خاصة والمغاربة بصفة عامة.⁽⁴⁾

لعل ذلك هو أحسن تصوير لحالة البؤس الذي أرادته فرنسا للشعب الجزائري من تفجير وتجويع⁽⁵⁾، وهذا راجع إلى تراكم أدوات الحكم الكولونيالي، وتراكم مضاعفات ردود الفعل المكبوتة والحقد الدفين المتحجّم فيها بعناء وجدّ كبيرين، وهو ما أدى إلى الفقر المدقع اقتصادياً واجتماعياً⁽⁶⁾، في ظل سيطرة فرنسا على أراضي الجزائريين التي مثلت مصدر رزقهم الوحيد.⁽⁷⁾

الأمر الذي أسهم في- مجاعة⁽⁸⁾، لاسيما بمقاطعتي الجزائر ووهران، والتي أتت على قسم كبير من- الأهالي-، وكثيراً ما حاولت السلطات إخفاء ما حل بهم من البؤس والقهر وإقصائهم إلى حيث لا يسمع لهم صوت، وعليه، فقد كان المتسولون منتشرين في كل الأماكن، ذكراً وإنثاً كباراً وصغاراً تقشعر من رؤيتهم الجلود وتذرف العيون الدموع، جلودهم ملتصقة بالعظام وعيونهم غائرة من شدة ما حل بهم من الجوع⁽⁹⁾، في ظل انقطاع التموين واستفحال السوق السوداء التي كانت فوق طاقة الجزائريين.⁽¹⁰⁾

(1)- أحمد توفيق المدني- هذه هي الجزائر- مكتبة النهضة المصرية للنشر- القاهرة- ص 107.

(2)- علي حشلاف- المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها- رسالة ماجستير علوم الإعلام والاتصال- جامعة الجزائر- 1994- 1995- ص 69.

(3)- حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي- الجزائر بين الأمس والغد- سلسلة الكتب السياسية- (دون معلومات أخرى)- ص 34.

(4)- الطاهر عمري- النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900م- 1940م)- أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة- 2003- 2004- ص 295.

(5)- في هذا الصدد ينظر عبد الكريم عيون- جغرافية الغذاء في الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1985- ص 20- 21.

(6)- عمار يزلي- الثقافة في مواجهة الاحتلال- منشورات السهل- الجزائر- 2009- ص 194.

(7)- رابح تركي عامرة- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931م- 1956م) ورؤساؤها الثلاثة- منشورات ENAG- الجزائر- ط1- 2004- ص 65- 66.

(8)- تتحمل السلطات الاستعمارية على عاتقها مسؤولية الأوضاع المزرية التي مرت بها الجزائر في عقد العشرينات والتي امتدت آثارها إلى النصف الأول من عشرينات الأربعينات، اعتباراً من نقص المواد الغذائية وانتشار السوق السوداء ومسؤولية النظام الاستعماري في تلك الأزمة، وهذا كله الموازة مع انتشار الجفاف وتراجع الإنتاج الفلاحي...، للتعلم في هذه المسألة، ينظر عبد السلام عكاش- مجاعة وجفاف 1945 ودورها في انتفاضة 8 ماي- الكوارث الطبيعية والحارق الاستعمارية وأثرها على البنية التحتية للمجتمع الجزائري- سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والمهجرة- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة- جوان 2013- ص 86.

(9)- "المجاعة بشمال إفريقيا"- جريدة الشورى- ع4- 12 نوفمبر 1924.

(10)- الغامن ماي في ذاكرة الشيخ البشير الإبراهيمي- مجلة الذاكرة- س2- ع2- ربيع 1995- ص 11- 12.

وعلى هذا الأساس، يمكن تلخيص الوضعية السوسيو-اقتصادية للجزائر الناجمة عن ذلك الحراك الرأسمالي فيما تم إقتباسه من شريط وثائقي بعنوان البرقية الجزائرية، تم عرضه بتاريخ 23 جانفي 1933م: "ماذا يأكلون؟...، إنهم يقتلعون من الأرض جذور تلغودة، كانوا يصنعون منها نوعا من الدقيق...، إنها من النواحي التي تم فيها ضبط وبيع 3 عنزات وحمار وبقي لهم تسديد الضرائب".⁽¹⁾

● خاتمة:

في ختام دراستنا لموضوع الاستيطان الفرنسي واستلاب الأراضي في الجزائر فيما بين 1919-1939 وتأثيراته الاقتصادية والاجتماعية، تحيل خلاصات هذه الدراسة إلى:

وجود علاقة وطيدة بين الاستعمار وسياسة الاستيطان، اعتبارا من أن الثاني هو عنصر تعزيز للأول، كما يمكن القول أن سلطات الاستعمار الفرنسي، قد مارست سياسة الاستيطان في الجزائر بالاستناد إلى مجموعة من القوانين، قصد كسب الشرعية في امتلاك تلك الأراضي المنتزعة.

شكلت قوانين التملك في إطار السياسة الاستيطانية رافدا أساسيا في تحقيق المشروع الاستيطاني، وذلك من منطلق أن العديد من القبائل قد لجأت إلى بيع الأراضي التي تملكها، اعتبارا من أنها ستفقد تلك الأرض بضمن بحس أو من دون ثمن على الإطلاق.

توازت سياسة انتزاع الملكية العقارية في الجزائر مع فتح أبواب الهجرة أمام الفرنسيين بصورة خاصة والأوروبيين بصفة عامة، كل هذا في إطار تشجيع المهاجرين الأجانب على الاستيطان - نهائيا - في البلاد، في ظل التسهيلات والامتيازات التي منحتهم إياها إدارة الاستعمار الفرنسي.

كان لسياسة الاستيطان الأثر البالغ على الحياة في الجزائر، اعتبارا من مساهمتها في تغيير البنى الاقتصادية والاجتماعية، حيث أثرت اقتصاديا من خلال الاستحواذ الكلي على الأراضي الزراعية بالإضافة إلى تغيير نمط الزراعات، زيادة على التأثيرات الاجتماعية التي تفسرها الهجرة الواسعة سواء الداخلية منها أو الخارجية، الأوربية أو الجزائرية، من وإلى الجزائر، بالإضافة إلى تفجير الجزائريين نتيجة هذه السياسة.

● قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

*- الكتب:

أ- باللغة العربية:

1- مياسي إبراهيم- مقاربات في تاريخ الجزائر 1830م-1962م - غرناطة للنشر والتوزيع - الجزائر - 2013.

(1)- يوسف فرحي - فرنسا صاحبة اللطافة أو 132 سنة من عملية الاستعمار في الجزائر - منشورات دحلب - الجزائر - 2007 - ص 44.

- 2- بلعبي أحمد- المسألة الزراعية أو الوعد الرائد في ريف الجزائر - منشورات عويدات - بيروت - ط 1 - 1985.
- 3- المدني أحمد توفيق- هذه هي الجزائر - مكتبة النهضة المصرية للنشر - القاهرة - (د ت ن).
- 4- أحمد سميح حسن- الاستيطان اليهودي في الجزائر (1830م-1962م) - دار الكتاب العربي - الجزائر - 2014.
- 5- العربي إسماعيل- التنمية الاقتصادية في الدول العربية (في المغرب) - ج 2- SNED - الجزائر - (د ت ن).
- 6- مالكي أحمد- الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 2 - 1994.
- 7- هاميد حسينة- المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية 1954م-1962م - منشورات الخبر - الجزائر - 2007.
- 8- حمدي حافظ والشرقاوي محمود- الجزائر بين الأمس والغد - سلسلة الكتب السياسية - (دون معلومات أخرى).
- 9- خثير عزيز- قضايا في تاريخ الحركة الوطنية - دار الخليل العلمية - الجلفة - (د ت ن).
- 10- عمارة رابح تركي- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931م-1956م) ورؤساؤها الثلاثة - منشورات ENAG - الجزائر - ط 1 - 2004.
- 11- آجرون شارل روبير- تاريخ الجزائر المعاصرة - ج 2- تر: عيسى عصفور - منشورات عويدات - بيروت - ط 1 - 1982.
- 12- رزاق عبد العالي- الدولة الجزائرية الحديثة (الاقتصاد والمجتمع والسياسة) - دار الفجر للنشر والتوزيع - القاهرة - 2004.
- 13- عيون عبد الكريم- جغرافية الغذاء في الجزائر - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1985.
- 14- ابن اشنهو عبد اللطيف - الهجرة الريفية في الجزائر - منشورات مركز الأبحاث في الاقتصاد التطبيقي - الجزائر - (د ت ن).
- 15- ابن اشنهو عبد اللطيف - تكوين التخلف في الجزائر - محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830م-1962م - تر: مجموعة من الأساتذة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1979.
- 16- شريط عبد الله والميلي محمد- الجزائر في مرآة التاريخ - مكتبة البعث للنشر - قسنطينة - ط 1 - 1965.
- 17- عبد المالك خلف التميمي- الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي - دراسة تاريخية مقارنة) - منشورات عالم المعرفة - الكويت - 1983.
- 18- بن داهة عدة- الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي في الجزائر (1830م-1962م) - ج 1- دار الكوثر للنشر والتوزيع - الجزائر - ط 1 - 2015.
- 19- عدي الهواري- الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي (1830م-1960م) - تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ط 1 - 1983.
- 20- يزلي عمار- الثقافة في مواجهة الاحتلال - منشورات السهل - الجزائر - 2009.
- 21- عماري أحمد- النظام القانوني للوحدات الاقتصادية في الجزائر - الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية - الجزائر - 1984.
- 22- مجموعة باحثين- تاريخ العرب الحديث - دار الأمل - (د م ن) - 1998.
- 23- محمد الصالح الصديق- الجزائر بلد التحدي والصمود - موفم للنشر - الجزائر - 2007.
- 24- الزيري محمد العربي- تاريخ الجزائر المعاصر - ج 1- منشورات اتحاد الكتاب العرب - (د م ن) - 1999.
- 25- إلزهاش هارتموت- فشل الاستعمار الفرنسي في الجزائر - تر: أحمد ابن محمد بكلي - دار القصة للنشر - الجزائر - 2015.
- 26- بوعزيز يحيى- سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830م الى 1954م، ويلي السياسة الاستعمارية من خلا مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م-1954م) - دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر - 2009.

27- فرحي يوسف- فرنسا صاحبة اللطافة أو 132 سنة من عملية الاستعمار في الجزائر- منشورات دحلب-الجزائر- 2007.

ب- باللغة الأجنبية:

- 1- AMOURA Amar - résumé de l'histoire de l'Algérie- éd- Raihana- Alger- 2002.
- 2- direction de l'agriculture, du commerce et de le colonisation- la colonisation en Algérie (1830- 1924)- imp- administrative Émile Pfister-Paris- 1924.
- 3- SARI Djillali- La Dépossession des Fellahs (1830-1962)- éd-SNED- Alger- 2e édition- 1978.
- 4- ALBERTINI ,E et autre- l'Afrique du nord française dans l'histoire- éd- Archat- Paris- 1937.
- 4- Enfantin- colonisation de l'Algérie- lib- P BERTRAND-Paris-1843.
- 5- J. P- KBEMER, projet de colonisation de l'Algérie, ed- dusacq, Paris, 1848.
- 6- CARLONAL Jules- l'Algérie et ses produit- lib- Editeur- Alger- 1922.
- 7- DUVAL Jules- l'Algérie et les Colonies Françaises- lib- Guillaumin et C^{ie}- Paris- 1877.
- 8- EGRETAUD Marcel- réalité de la nation Algérienne- éd- sociales- Paris- 1961.
- 9- VIOLLETTE Maurice - l'Algérie vivra-t-elle ? notes d'un ancien gouverneur général- éd- Félix ALCAN- Paris- 1931.
- 9- TAGUIA Mohamed - l'Algérie en guerre-éd- OPU- Alger- (sd).
- 10- GHALEB Pierre- protectorat religieux de la France en orient- lib-Aubanel frères- (sd).
- 11- BOUYAC René- histoire de Bone- imp -courier de Bone- (sl)-1941.

*- الجرائد والمجلات:

- 1- "المجاعة بشمال إفريقيا" جريدة الشورى- ع4- 12 نوفمبر 1924.
- 2- أسامة صاحب منعم مساعد- الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الإدارة الاستعمارية (1830م-1962م) ومحاولات البحث عن النفط قبل الاستقلال- مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية- ع3- مج4- (د ت ن).
- 3- الثامن ماي في ذاكرة الشيخ البشير الإبراهيمي- مجلة الذاكرة- السنة 02- ع2- ربيع 1995.
- 4- جريدة النجاح- ع 985- السنة العاشرة- 19 جويلية 1930.

* الرسائل والأطاريح الجامعية:

- 1- الطاهر عمري- النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900م-1940م)- أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة- 2003- 2004.
- 2- إلياس نايت قاسي- الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي في الجزائر وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية- رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الجزائر2- الجزائر- 2002- 2003.
- 3- حياة ثابتي- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالقطاع الوهراني 1929م- 1954م- أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- 2010- 2011.
- 4- دحمان تواتي- جماعة الملاك الكبار ودورهم في توجيه القرار الاقتصادي والسياسي في الجزائر (1900م-1954م)- أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة 2- 2016- 2017.
- 5- عائدة حباطي- التجنس وموقف الجزائريين منه 1919م-1939م- رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة- 2003- 2004.
- 6- عبد الحكيم رواحنة- السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1870م- 1930م- رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الحاج لخضر- باتنة- 2013- 2014.
- 7- علي حشلاف- المواقف السياسية لـجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها- رسالة ماجستير علوم الإعلام والاتصال- جامعة الجزائر- 1994- 1995.
- 8- عيسى بيزيد- السياسة الفرنسية تجاه الملكية العقارية في الجزائر 1830م- 1914م- رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر- جامعة الجزائر 02- 2008- 2009.

*- الملتقيات والمؤتمرات:

- 1- الطاهر عمري- الاستعمار الاستيطاني الفرنسي وتأثيراته على البنى الاجتماعية الجزائرية إلى نهاية القرن التاسع عشر- الندوة العلمية الدولية الأولى حول آليات الاستعمار الاستيطاني الأوربي في الجزائر وليبيا- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة- ماي 2008.
- 2- جمال قنان- التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية تسلطية واستغلالية- أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي- الجزائر- 02- 03 جويلية- 2006.
- 3- عبد السلام عكاش- مراجعة وجفاف 1945 ودورها في انتفاضة 8 ماي- الكوارث الطبيعية والمحارق الاستعمارية وأثرها على البنية التحتية للمجتمع الجزائري- سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة- جوان 2013.

